عبد الرزاق عبد الواحد

أباريق مهشمة

شعر

منشورات دار الآداب - بيروت

مدونة
Riyadh
Hamza

مدونة
Riyadh Hamza
/http://riyadhhamza.blogspot.com



عبد الوهاب البياتي

أباريق مهشمة

شعر

منشورات دار الآداب - بيروت

الطبعة الرابعة

بيروت ، نيسان (ابريل) ١٩٦٩

أباريق مهشمة

اللهُ . والأفق المُنوّرُ . والعبيدْ
يتحسسون قيودهمْ :
« شيّد مدائنك الغداة
بالقرب من بركان فيزوفٍ ، ولا تقنعْ
بما دون النجومْ
وليُضرم الحب العنيفْ

في قلبك النيران . والفرحَ العميقْ »
والبائعون نسورهم يتضورونْ
جوعاً ، وأشباه الرجالْ
عور العيونْ
في مفرق الطرق الجديدة حائرونْ :
« لا بدّ للخفاشِ
من ليل . وان طلع الصباحْ
والشاة تنسى وجه راعيها العجوزْ
وعلى أبيه الابن ، والخبز المبلل بالدموعْ
طعم الرماد له . وعين من زجاجْ
في رأس قزم . تنكر الضوء الطليقْ »
وأرامل يتبعن أشباه الرجالْ

تحت السماء ، بلا غد ، وبلا قيودْ
والله والأفق المنوّر ، والعبيدْ
يتحسسون قيودهمْ :
« نبع جديدْ !
نبع تفجر في موات حياتنا
نبع جديدْ
فليدفن الأموات موتاهمْ
وتكتسح السيولْ
هذي الأباريق القبيحة ، والطبولْ
ولتُفْتَح الأبواب ، للشمس الوضيئة والربيعْ

المحرقة

وصنعتُ محرقتي

وكان لظى

نيرانها ، رئتي وأعصابي

وربيعيَ المتوهج ، الخابي

ودفنت في أعماق ذاكرتي

فأسي وزوبعتي وأحطابي

وقبورَ أحبابي

وفتحت أبوابي

للنور والظلمات ، أبوابي

والتافهون وراء حائطنا

يرنون للموتى باعجاب

وكلابهم تعوي ، وعالمُنا

يصحو على أصوات حطّابِ :

« يا أرضُ ميدي بالقبور فقد

أطعمتُ للفيران أعشابي »

وهشيمُ ألقابِ

تهوي كأوراق الخريف على

أقدامه ، وحطامُ أنصابِ

والفأسُ ـ والنيران تأكلني ـ

تهوي وتهوي فوق أبوابي

مأساتنا ، كبشَ الفداء ـ هنا ـ

كنا ، ومحرقةً لأحطابِ

أما الذين وراء حائطنا

يرنون للموتى باعجابِ

فقلوبهم جيفٌ معطّرة

للبيع . في حانوت قصابِ

قاموا على أعتاب قاتلهم

يتثاءبون طوال أحقابِ

يا أيها الجبناءُ ! محرقتي

ربطتْ بأفق الشمس أسبابي

الملجأ العشرون

كفراغ أيام الجنود العائدين من القتالْ
وكوحشة المصدور في ليل السعال
كانت أغانينا ، وكنا هائمين بلا ظلال
مترقبينَ ، الليلَ ، أنباءَ البريدْ :
« الملجأ العشرونْ
ما زلنا بخير ، والعيالْ

— والقمل والموتى — يخصّون الأقارب بالسلامْ »
والذكرياتُ الفجّة الشوهاء تعبر . والخيامْ
والريح والغد والظلامْ
كوجوهنا غبّ الرحيل :
« أماه ! ما زلنا نخير » والذئابْ
تعوي وتعوي عبر صحراء السهاد :
« يا إخوتي من أين نبدأ ؟ من هنا ! ليلُ السعال
وبريدنا الباكي المعاد :
« لا شيء يُذكر لم تزل (يافا) وما زال الرفاقْ
تحت الجسور . وفوق أعمدة الضياءْ
يتأرجحون بلا رؤوس في الهواء
ولم يزل دمنا المراق
على حوائطها القديمة ، واللصوص
وحقولنا الجرداء يغزوها الجراد »

« من هاهنا أماه ! أعوادُ المشانق والحريقْ
من هاهنا بدأوا ونبدأ . والطريقْ
ومرٌّ طويلْ
لا عاشَ رعديدٌ ذليل »
(يافا) نعود غداً اليك مع الحصادْ
ومع السنونو والربيع
ومع الرفاق العائدين من المنافي والسجون
ومع الضحى والقبّراتْ
والأمهات
« الملجأ العشرون
ما زلنا بخير . والعيال
والاخوة المتشردون .
من قبونا النائي يخصّون الأقارب بالسلامْ » .

صخرة الأموات

– نامي !

وقبّل شعرها

– أختاه نامي !

بيني وبين سمائك الزرقاءِ

أجيال من البؤساءِ

نامي !

صمّ عن الدنيا ، بلونِ الخوفِ
كانوا ، والرغامِ
عاشوا على الأوهامِ
كالديدان تنهش في الرمامِ
أحياؤهم موتى
وموتاهم خفافيش الظلامِ
لم يعرفوا نورَ السماءِ
ولا تباريحَ الغرامِ
أما نساؤهمُ
فجرذان تعيش على الهوامِ
بيني وبين سمائك الزرقاء
صخرتهم
فنامي !

مسافر بلا حقائب

من لا مكانْ

لا وجهَ . لا تاريخَ لي ، من لا مكان

تحت السماء ، وفي عويل الريح أسمعها تناديني : « تعالْ !

لا وجه . لا تاريخ ... أسمعها تناديني : « تعال ! »

عبرَ التلالْ

مستنقع التاريخ يعبره رجال

مائد الرمال

والأرضُ ما زالت ، وما زال الرجال

يلهو بهم عبث الظلال

مستنقع التاريخ والأرض الحزينة والرجال

عبر التلال

ولعل قد مرّت عليّ ... عليّ آلاف الليال

وأنا – سدى – في الريح أسمعها تناديني « تعال ! »

عبر التلال

وأنا وآلاف السنينْ

متثائبٌ . ضَجِرٌ . حزين

من لا مكان

تحت السماء

في داخلي نفسي تموت ، بلا رجاء
وأنا وآلاف السنين
متثائب ، ضجر . حزين
سأكون ! لا جدوى ، سأبقى دائماً من لا مكان
لا وجه ، لا تاريخ لي ، من لا مكان
الضوء يصدمني ، وضوضاء المدينة من بعيد
نفس الحياة يعيد رصف طريقها ، سأم جديد
أقوى من الموت العنيد
... سأم جديد
... وأسير لا ألوي على شيء ، وآلاف السنين
لا شيء ينتظر المسافرَ غيرُ حاضره الحزين
— وحل وطين —

وعيون آلاف الجنادب ، والسنين
وتلوح أسوار المدينة . أي نفع أرتجيه ؟
من عالم ما زال والأمس الكريه
يحيا ، وليس يقول : « ايه »
يحيا على جيف معطّرة الجباه
نفسُ الحياة
نفس الحياة يعيد رصف طريقها ، سأمٌ جديد
أقوى من الموت العنيد
تحت السماء
بلا رجاء
في داخلي نفسي تموت
كالعنكبوت .

نفسي تموت

وعلى الجدار

ضوء النهار

يمتص أعوامي ، ويبصقها دماً ، ضوءُ النهارْ

أبداً لأجلي ، لم يكن هذا النهارْ

الباب أغلقَ ! لم يكن هذا النهار

أبداً لأجلي لم يكن هذا النهار

سأكون ! لا جدوى . سأبقى دائماً من لا مكان

لا وجه . لا تاريخ لي ، من لا مكان

بَعد الربيع

يا ليالي الحرمانِ في كوخيَ النائي ،
ويا خيبـــةَ الحقــول الحزينهْ

موسمُ الحب والحصـــاد سيبقى
حلمـــاً ترقب العيون فنونـــهْ

أنا روّيت بذرتي ... بدمـــائي
وتجـــاهلتُ أنهـــا مسنونـــهْ

وتعهدتهـــا ، وكنت ليـــأسي
أتمـــنى بأن تظـــل دفينـــه

الربيعُ الربيعُ مرّ عليهـــا
وسبى روحها ومرّ : « لعينه ! »

وعصافير قريـــتي ســـلبتها
كل ما كنتُ واهماً أن تكونـــه

وعلى قبرهـــا الكئيب تلاقى
سارقُ القوت من يدي . والضغينه

هاهنا عـــالم يجوع . لتلهـــو
في مقـــادير عيشـــه طاحونه

وهنـــا تُطرق الســـنابل خجلى
من تداعي هيـــاكل موهونـــه

باعت الأرض روحها – وتأبّتْ

أن تعي بؤسها – لوحش المدينهْ

يا ليالي الحرمان ! ماتتْ وعشنا

بعدها ، نرقب الردى في سكينه

وغداً ينبش الخريف ثراهـــا

ليـــذرّي قشـــورها المسنونهْ

فيتنام

... وكرنّةِ العصفور ، صوتك لا يزالْ
في ليل باريسٍ ، يناديني : تعالْ !
في ليل باريس : تعال !
حيث البغايا الشقر والعمّات والمتسولونْ
وضريح « ميرابو » و « روبسبير » والفكر المهان
تحت النعال ، وصوتها ، في ليل باريسٍ : تعالْ !

والثلج والعمّات والمتسولون
وسعال طفلتنا المريضة ، والبواخر ، والزمان
وصليت ثورتنا القديم :
« حريةٌ . عدلٌ . مساواةٌ » يُلوّثُ في دماء الأبرياء
إخواننا الشرفاء في الابداع ، والغد ، والمصيرْ
وطلائعُ الثوار تقتحم الحصونْ
وأنا وأضواء الحرائق والجنود
وراء خط النار ، جرحى ، يائسون
« سوزانُ » طفلتنا تموتُ
في ليل باريس ، وأضواء الحرائق والجنود
والثائرون
بحرابهم ، أبداً ، برشّاشاتهم ، يتقدمون

وحنينهم ، نحو اللظى ، يتقدمون
ـ المارد الجبار في أعماق آسيا يستفيق ـ
من حلمهِ القَلِق المُميت
وعلى مياه الأنهر السوداء تطفو ، والتلول
جثثُ الخيول
وطلائع الثوار تعدم بالرصاص الخائنين :
« وحقّ أسماءِ الكلابْ
لا مجدَ تحت الشمس
إلا مجد أبناء الحياة
والخبز والحرية الحمراء والغد والمصير
باريس يا بلد الظلام
العاهر الملعون « هتلر » لا يزال

لا مجد إلا مجد أبناء الحياةْ

والخبز والثوار ، يا بلد الظلام ! »

وأنا وأضواء الحرائق ، والجنود

وحصون «لاوُوس» المنيعة ، واللظى والثائرون

بحرابهم ، أبداً ، برشاشاتهم ، يتقدمون :

« الموت للمستعمرين !

يا أنت يا «لاوُوس» يا غابَ العبير !

في قلب ماردنا الكبير

الموت للمستعمرين ! »

وأنا ، وصوتك لا يزال

في ليل باريسٍ ، يناديني : تعال !

سارق النار

داروا مع الشمس ، فانهارت عزائمهم
وعـــاد أولُهم ينعى على الثاني
وسارقُ النـــار لم يبرحْ كعـــادته
يُسابقُ الريحَ من حانٍ إلى حانِ
ولم تزل لعنـــة الآبـــاءِ تتبعـــه
وتحجب الأرضَ عن مصباحه القاني
ولم تزل في السجونِ السودِ رائحةٌ
وفي الملاجئ من تاريخـــه العـــاني

مشاعلٌ كلما الطاغوتُ أطفأها ،
عادت تُضيءُ على أشــلاء انسانِ
عصر البطولات قـــد ولّى ، وهأنذا
أعودُ من عـــالم الموتى بخـــذلانِ
وجدي احترقتُ ! أنا وحدي ! وكم عبرت
بيَ الشموسُ ولم تحفـــلْ بأحزاني

اني غفرتُ لهـــمْ
اني رثيتُ لهـــمْ !
اني تركـــت لهـــم
يا ربِّ أكفـــاني !

فلتلعب الصدفـــةُ العمياء لعبتهـــا
فقد بصقت على قيـــدي وسجاني
ومـــا عليّ إذا عـــادوا بخيبتهـــم
وعـــاد أوّلهـــم ينعى على الثـــاني

ريحُ الجنوبْ

عينُ السجينْ
من قبوهِ الأرضيّ ، للنجمِ الحزين
من قبوهِ الأرضي تضرع —والمصيرُ يروعه—عينُ السجينِ
وشذا الخمائلِ والصخورْ
وصدى القوافل والطيور العائدات من الجنوبْ
بعدَ الغروب
تأوي إلى برج المدينة والقوافلُ في الدروب
الليل أدركها . وللنجمِ الحزين

عبر السجين
من قبوه الأرضي تضرع ، والمصير
والليل والنجم الحزين على الغدير
والريح تطمسه ، وفي القفر الوعيرْ
كنا نسيرْ
كانت قوافلنا بلا نجمٍ ، وقد كنا نسيرْ
ما كانَ لا — عبثاً يكون
لا ! لن يكون
كلماتنا ستدكّ جدرانَ السجون
وتضيء للموتى منازلهم . وتكتسح الطغاةْ
بحروفها المتوهجات
كلماتنا ! ما كان لا — عبثاً يكونْ
يا أرضُ — يا أمّ الجميعِ — ستهرمينَ ! ولا يكونْ
ما كان — يا أمّ الجميع — ستهرمين ! ولا يكون

كانت قوافلنا بلا نجم ، وقد كنا نُعيد
صلواتنا الخرساءَ للصبح البعيد
كنا نُعيدْ
صلواتنا – يا أمّ – للصبح الجديد
ووراءنا تعوي الكلاب ، ومن بعيد
أرضُ العبيد
كانت تلوح كما نريد
البرج فيها مائلٌ ، والأفق تصبغه الدماء
كنا ظِماءْ
حتى نسينا أننا كنا ظماء
وعلى رصيف المرفإ المهجور ، كانت غمغماتْ
أطفالنا ونسائنا المتهللات ..
حتى نسينا أننا كنا عراةْ
يا أمّ ! عاد أتسمعين ؟

نجواهُ في الريح الحزين
وتفرّ من عين السجين
بعض الدموع
وشذا الخمائل والصخور ...
وصدى القوافل والطيور العائدات من الجنوب
لبيوتنا تأوي . ومن نائي الدروب
أصداء قافلة تغنّي . انها ريح الجنوب
وشذا الخمائل ... انها : ريح الجنوبْ
يا أم ! عاد أتسمعين ؟
وتفرّ من عين السجين
بعضُ الدموعُ
وفي الدروبْ
أصداء قافلة تغني ، انها : ريح الجنوب

أُمطار

حبُّهـا كان ... وفي قريتنـا
يدّعي العرّافُ : «أنا عاشقانْ»

آهِ لو عُدنا إلى الحقلِ لَمَا
طردتنا الريح من كل مكانْ

أرضه السوداءُ والمحراث في
صدرِها باقٍ ، كما بالأمس كانْ

والعصافيرُ على ندرتها
لم تزل تؤنس غابَ السنديانْ

والربى لمّا تزَلْ شاحبةً
فلُّها يسأل عنا الأقحوان

آهِ لو عُدنا . لقبّلتُ ثرى
أرضِهِ . واحتضنتْ رأسي يدانْ

ولطوّفتُ على أكواخه
سارقاً نومَ الصبيّات الحِسانْ

موقظاً مَنْ كان ليلي ليلُها
وإليها كان يدعوني الحنانْ

وإلى البدر نمضي خلسةً
عن عيون الأهل ، نُصغي لأغانْ

لأغاني الحاصد العائد من
كوخه النائي المُغشّى بالدخانْ

أتُراها لم تزلْ تذكرُ مِنْ
عمرها يوماً به كانت وكانْ ..؟

يوم ألقته على الأرض وقد
نامت القريةُ عنّا والزمانْ

سوق القرية

الشمسُ ، والحمرُ الهزيلةُ ، والذبابْ
وحذاءُ جنديٍّ قديم
يتداولُ الأيدي ، وفلاحٌ يحدقُ في الفراغْ :
« في مطلعِ العامِ الجديدْ
يداي تمتلئانِ حتماً بالنقودْ
وسأشتري هذا الحذاءْ »

وصياحُ ديكٍ فرّ من قفصٍ ، وقديس صغيرْ :
« ما حكَّ جلدَكَ مثلُ ظفرك » و « الطريق إلى الجحيمْ
من جنّةِ الفردوسِ أقربُ » والذبابْ
والحاصدونَ المتعَبونْ :
« زرعوا ، ولم نأكلْ
ونزرع ، صاغرينَ . فيأكلون »
والعائدونَ مِنَ المدينةِ : يا لها وحشاً ضريرْ :
صرعاهُ موتانا ، وأجسادُ النساءْ
والحالمونَ الطيبونْ »
وخوارُ أبقارٍ ، وبائعةُ الأساور والعطورْ
كالخنفساءِ تدبّ : « قبرتي العزيزة ، يا سدوم !
لن يُصلحَ العطّارُ ما قد أفسدَ الدهرُ الغَشومْ »

وبنادقٌ سودٌ ، ومحراثٌ ، ونارْ

تخبو ، وحدّادٌ يراودُ جفنَه الدامي النعاسْ :

« أبداً . على أشكالِها تَقَعُ الطيورْ

والبحرُ لا يقوى على غسلِ الخطايا ، والدموعْ »

والشمسُ في كبدِ السماءْ

وبائعاتُ الكرمِ يجمعنَ السلالْ :

« عينا حبيبي كوكبانِ

وصدرُهُ وردُ الربيع »

والسوقُ يقفرَ . والحوانيتُ الصغيرةُ . والذبابْ

يصطادهُ الأطفالُ . والأفقُ البعيدْ

وتثاؤُبُ الأكواخِ في غابِ النخيلْ

الأوغاد

مَهْلاً ! هناكَ أرى مدينَتهم
تنهال في طرقاتها الظلمُ

مرضى ، وثرثارون ، غائرةٌ
أحداقُهم ، ومطاعمٌ ، ودمُ

صبغوا به — خوفاً — نوافذَهم
وتقمّصوا أسلافُهم ، وهمو

للآلــة الصمّاء قــد سجدوا
وبربّهــا المشؤوم قد حلموا

قالوا : « الحذار ! غداً سنهدمه
بروؤوســنا التعبى ، وننهــدمُ

ونُعيــد للموتى قداســتهمْ
فيســودنا من نســلهم صنمُ

يأوي البنونَ إلى حظيرتــه
وتشدّهم في ركبــهِ قيَــمُ

قيَــمٌ ميــاهُ الحقدِ تحملهــا
من شاطئٍ جدبٍ ، فتنحطمُ »

... وهناك ! مهلاً ! ثَمّ محرقــةٌ
ملأ البيوتَ دخانُهــا النّهِمُ

هبط الظلام ونارها — أبداً —
مجنونـــةٌ حمراءُ تضطـــرمُ
« مامون » [1] والدولار يدعمـــه
— بازائها — والفكر والعـــدم
وصبيّـــة تبكي ، ومركبـــة
يسطو على حُوذيّها خـــدمُ
وأرى بغـــايا ينتحبنَ عـــلى
حُبٍّ تدوس رفاتَه قـــدمُ
وعيونَ شـــحّاذ ملوثـــة
ودماً يسيل ، وباعـــة وجموا
من أين ؟ والأمطارُ تحجبهمْ
عنّا وســـقفُ الليل ينهـــدم
إنا هجرناهم . وليسَ لنـــا
في أرضهم بعث ، ولا رممُ

---

١ مامون : إنه المال في الميثولوجيا اليونانية .

القرصان

غليونُه القَذِرُ المدمّى والضبابُ ، وكوة الحان الصغيرْ
ورفاقه المتآمرون يثرثرون :
« البحر مقبرة الضمير »
ويقلبون كؤوسهم ويقهقهونْ :
« هذا العجوز ألا يكف عن الشخير ؟ »
والليل والحان الصغير
ورفاقه والخمر والدم والضبابْ
صورٌ تعود به ، تعود إلى الوراءْ

إلى جزيرته وشاطئها وآلاف السفائن ، والرجال
والمومسات
بثيابهن الباليات
يجمعن أعواد الثقاب
وينتظرن على الرصيف
والسحب تبكي والخريف
في أخريات الليل ، والبحر الغضوب
ورفاقه المتآمرون
عما قريبٍ يُقلعون ، ويتركون
هذا العجوز
للخمر والدم والضباب
والنوم والحان الصغير
ليستعيد !
وأي ذكرى يستعيد

هذا العجوز
أفضائحَ الأمس القريب أم البعيدْ ؟
في الشرقِ ، في أرض المعابد والكنوزْ
حيث القبابُ ، وحيث آبارُ الزيوتْ
يتلاقيان على صعيدْ ...
وحولها شعبٌ يموتْ .
ليستعيد !
وأي ذكرى يستعيد ؟
هذا العجوز
واللطخةُ السوداءُ في تأريخه الدامي ، اللعينْ
كالنار باقيةٌ تُثير الخوفَ والحقد الدفين
في قلب افريقيا ، في الكنج المقدّسِ ، والقنالْ
حيث الرجالُ السمرُ تحت الشمس يقتحمون اعصارَ المنونْ
ويصنعون
تاريخهم ، ويدافعون
عن الحضارةِ ، والغدِ المأمولِ بالدم والدموع

وحيث صحراءُ الصقيعْ
والثائرون
والريح تُعولُ في الخنادق والجنود
يتساءلون : « متى نعود ؟ »
ويظل « لصّ البحر » يضحك ، والسماء
تبكي وتبكي والخريف
والمومسات على الرصيف
يجمعن أعواد الثقاب
وهؤلاء ، وهؤلاءْ
يتساءلون : « متى نعود ؟ »
ويظل يضحك ، والسماءُ ، وهؤلاء
يتساءلون . وفي الضبابْ
غليونه القذر المدمى ، والرفاق العائدون يثرثر
« البحر مقبرة الضمير »
والليل والحان الصغير ...

انتِظَار

صلّي لأجلي !
عبرَ أسوارِ
وطني الحزينِ ، الجائعِ ، العاري
وعلى رصيف المرفإ انتظري
– يا كوكبي الساري
وحديثَ سمّاري –

قلبي مياهُ البحرِ تحمله

تفاحةً حمرا ... كتذكارِ

وعبيرُ آذارِ

ورفاقُ أسفاري

يتلمّسون طريقَ عودتهم

ورسائلي وأبي وأزهاري

وكلبُنا الضاري

يعوي . وعينا شيخِ حارتنا

مصلوبتان على لظى النارِ

وشجيرة الليمون يسرقها

مهما تعالتْ . صبيةُ الجارِ

... وكقبّرات الصبحِ ، هائمةٍ

والموتِ والثارِ
ستظل أفكاري
تعلو وتعلو عبر أسوارِ
وطني الحزينِ ، الجائعِ ، العاري
وأنا وأطماري
في غربة الدارِ
وحدي بلا حبٍّ وتذكارِ

الأسير

يا ملاكي الصغيرْ هل عرفتَ الألمْ ؟
والبكاءَ المريرْ والهوى والندمْ !
والطريقَ الأخير وخبيثَ السأم !
يا ملاكي الصغير هل عرفتَ الألم ؟
عشبةٌ في الهجير لعَنتها الدِّيَم
باللّظى تستجير والسرابِ الأصم

في انتظار المصير أطرقت ثم لمْ ...
الضمــير الضمــيرْ — يا لَكذبِ الرّمِ —
زَيّفتــه القيَــمِ
لن تعودَ النســورْ فاهزئي يا قِمَمِ
فالترابُ الحقــير عند موتى الذممِ
بطــلٌ أو صنمِ
يا ملاكي الصغير هل عرفتَ الألمْ ؟
« بعد كدّ المسيرْ » كَمْ تراءتْ حُمَمْ
لعيــون الأســير في صحارى العدمْ
وخطــايا غــدير ورؤىً لم تَنَــمْ
وجنــاحٍ كسير وبقــايا نغــمِ :
ليس بعــد الظّلَمْ

غيرٌ وادٍ وعـبير وغبـارِ القـدَمْ

ورمـادِ المصيرِ وفراغٍ ودمْ

وثلـوجِ القِمَمْ

يا ملاكي الصغيرِ هل عرفتَ الألمِ ؟

طريق الحرية

عبرَ الصحارى الموحشات ، ترنّ أجراسُ الحياةْ
في الليل معلنةً : « بأن عدوها الممقوت مات »
وإلى المدائن والقرى المتناثرات
عبر الصحارى الموحشات
ينسلّ ضوءُ الفجر أقوى ... — من ينابيع الحياة —
وتهبّ أطياف العبيد من السبات :
« نحـــن العـــراةْ
بالأمس سخّرنا الطغـــاة
لبناء هذي السخريات »

ومن القبور الصامتات
للمنقذ المجهول ترتفع الصلاة
وعلى المعابر في الجليد
تنساب أطياف العبيد
وصدى الرنين ، من البيوت ، ومن بعيدْ
ينهال مفترساً بقايا الخوف والعجز المبيد :
« نحن العراةْ
بالأمس سخّرَنا الطغاة
لبناء هذي السخريات »
ومن القبور الصامتات
للمنقذ المجهول ترتفع الصلاة
وتهب عاصفة فتدفعهم إلى قلب المروجْ
وتظل أجراس الحياة ترن ، والوادي يموج
والفجر يصبغ بالدم الطاغي أكاذيب البروج

الذئب

ولمحتُ في عينيكِ
إنساني
الضائعَ . المتهافتَ . الفاني
ذئباً يدب إلى كنوزك في
أعتاب ليلٍ :
« كان إنساني ! »
وتغمغمينَ :
« .... وكان يهواني »

ومن الظلام تفوح أغنيةٌ
يلغو بها المذياعُ في حانِ :
« كنزي الوحيد !
حمامتي . حلمي
يا أخت قلبي المظلم ، الحاني
يا نارَ أشجاني !
ردي عليّ ، عليّ إنساني »
وتناثرت خصلٌ معطرةٌ
وعلى السرير انهد ظلانِ
وعواء حيوانِ
وتغمغمين ، وأنت شاحبةٌ
مسحوقةٌ : « ... وغداً سينساني ! »
ويغوص في نهديكِ مخلبه
ويموت في عينيكِ
إنساني

عشاق في المنفى

وأنا ...
وأنتَ ؟
أنا وحيدْ !
قطرة المطر العقيم ، أنا وحيد !
وهؤلاءْ ؟
مثلي ومثلك يحفرون قبورهم عبر الجدارْ
مثلي ومثلك مُقبلون على انتظار
مَنْ لا يعود

وأنا وأنتَ وهؤلاءْ
كالعنزة الجرباء أفردها القطيعْ
لا نستطيع ...
وإذا استطعنا ، فالجدارْ
والتافهونْ
يقفون بالمرصاد ، كالسدِّ المنيعْ
لا نستطيع ...
وأنا وأنتَ وهؤلاء
والتافهونْ
والشمسُ في الطرقات تحتضن البيوتْ
فتُثير في النفس الحنينَ إلى البكاءْ
وهناك في قُللٍ من الفخّار أزهارٌ تموت
والشمس تحتضن البيوت ...
وقديمُ أغنيةٍ ، وأطفالٌ بها يترنمون

وباعةٌ متجولون
والتافهون يُساومون على رفاتْ
نسرٍ صغير
– سمّاهُ بائعُه «ضميرْ» –
وأنا وأنتَ وهؤلاء
كالعنزة الجرباء . أفردها القطيع
بلا ربيعْ
بلا ربيعٍ أو بيوت
من الشروق إلى الغروب
ومن الغروب إلى الشروق
نبقى ونبقى في انتظار
مَنْ لا يعودْ
لا شيءَ ينبض بالحياةْ
في هذهِ الجُدُر البغيضةِ والدروبْ

يا أيها التعساءُ ! — في هذي الدروبْ
لا شيءَ ينبض بالحياة
هنا . هنا العدم الرهيب
لا شيءَ ... والعدمُ الرهيب
والشمس تغرب والبيوت
— يتثاءب — الأطفالُ في أبوابها يتثاءبون
والتافهون يساومون ويهرفون :
« بيعُ النسور !
أجدى من القُلَلِ الدميمةِ والزهورْ »
وأنا وأنتَ وهؤلاء على انتظار ...
والليل يتبعنا ككلبٍ جائعٍ عبر الجدارْ

السّجين المجهول

عبرَ بابِ السجنِ ، عبرَ الظلماتِ

كوخنا يلمع في السهل ، وموتي ، والنجومُ

وقبورُ القريةِ البيضاءِ ، والسورُ القديمُ

وقيودي وهواها

وطواحينُ الهواءِ

وبطاقاتُ البريدِ :

يا رفاقي في الطريق

عبر باب السجن ، غنّوا ، يا رفاقي

لم يزل عالمنا يحفل بالخير ، وبالحب العميقِ

يا رفاقي ، والنجومُ

وطنين النحل في مقبرة القرية ، غنّوا !

والعصافير إلى سَرْوتنا الخضراءِ ما زالت تَحنّ

لم يزل عالمنا أروعَ ممّا

حدّثونا عنهُ ، ممّا صوّروهُ

في الأساطير لنا ، أروعَ ممّا صوّروهُ

لم يزل يحفل بالخير ، وبالحب العميق

يا رفاقي في الطريقِ

سرات لياليناا العميقهْ

والطواحين العتيقه

عبر باب الليل ما زالت . وما زلت بسجني

سنواتٌ أربعٌ مرت . وما زلت بسجني

ورفاقي يحرثون الأرض في الشرق البعيد

وأنا ما زلتُ في السجن . أغني

وقيودي وهواها

وبطاقات البريد

القرية الملعونة

بالأفق المفتود . قالوا : « غداً تُناهي رقيقَ الضيعة الت
الدمُ . والأرضُ بقربانها . جادتْ ! فأين الخبزُ والآ
النّيرُ والمِحراثُ والثورُ الجريحُ على الثلوجْ
يغفو . ليحلَم بالسواقي والمروج
والحقلُ أخفته الثلوج
عن زارع الورد الحزين

إلا كَمينْ

ما زال ينتظر الثعالبَ واللصوصَ الجائعينْ

والسنديانةُ ما تزال على طريق العابرين

يقظى ، توسد جذعَها المنخوبَ ، أفّاقٌ طريدْ

السنديانةُ والجليد ...

غطى طريقَ القرية المصبوغَ بالدمِ ، والكمينْ

ما زال ينتظر اللصوصَ الجائعينْ

وهناك عبر الحقل . أكواخٌ تنامِ وتستفيقْ

عبر الطريق

بشرٌ ينامِ ويستفيق

بشرٌ ينامِ مع الدواب السائبات على سواءْ

ما دام ينعم بالثراء

ابنُ السماء

« العمدةُ » المرهوبُ . والخبزُ العريقْ

– حلمُ الملايين الجياع من الرقيق ،

وَلِمَ الشهيقْ ؟

الخبزُ تُنضجه السياطُ الدامياتُ ! لِمَ الشهيق ؟

وَلِمَ العويلْ ؟

غداً الرحيل !

عن هذهِ الأرض الخبيثةِ – لعنةُ العيش الذليلْ –

حلت بجيلٍ بعد جيل

غداً الرحيل

والعمدةُ المرهوب يمسح بالسياط . دمَ الظهورْ

كتلٌ مشوهةٌ تدور

حول الزرائب ، والقبور النائمات على القبور ...
أصواتها النكراء ، تقطر بالدم المزرقّ ، بالدمِ إذ تدور
كتلٌ مشوهةٌ تدورْ
وتعود تنبش في المزابل والقبور
ليظل طاغيةُ العصور
بالويل يُنذر والثبور
— بشراً يعيش مع الشياهِ ، مع الشياهْ —
ان رنّقت عيناهُ في نهر الحياهْ
والسنديانة في الثلوج السود ، والثور الجريحْ
يغفو ، وأشباح اللصوص ، هناك تغدو أو تروح

وحشة

أقسى من الموتِ مقتي لها مقتي
تمنحني قلبَها لتشتري صمتي

وبعدها . بعدها لا يأسَ من موتي
بالأمس كان الهوى يُضيء لي بيتي

واليومَ لم يبقَ لي إلا الذي شئتِ
وحدي ؟ بلا موعد أصيح : « يا أنتِ »

تغمرني وحشةٌ ، والليلُ لم يأتِ —
قاحلــة ، سبخة ضائعــة الوقــتِ

يجفّ في تيههــا على فمي صوتي
عمود ملح بهــا كنتِ ! أجل كنتِ

بالأمس كان الذوى يضيء لي بيتي
واليومَ لم يبقَ لي إلا الذي شــئتِ

ذكريات الطفولة

بالأمسِ كُنا – آهِ من كنا ، ومن أمسٍ يكونْ –
نعدو وراء ظلالنا – ... كنا ، ومن أمسٍ يكون –
لا نرهب الصمتَ الذي تُضفيه أشباحُ الغروبْ
فوق الحدائقِ والدروب
لا نرهب السورَ الذي من خلفه يأتي الضياءْ
ولربما مات الضياء ولم يَعُدْ ونقول : «جاءْ !»
كنا نقول كما نشاء
حتى النجومْ

كنا نقول بأنها – كانت – عيونْ
للأرض تنظر في فتون
حتى النجوم
كانت عيون
لا نعرف «الشيءَ الصغيرَ» ولا نُصدّق ما يُقالْ
ولا نزال
لا نعرف الشيء الصغير ولا نصدق ما يُقالْ
ولربما كنا نحدّق في الفراغ . ولا ننام
وفي الظلام
– مأوى الأفاعي والعفاريت الضخامْ –
كانت مدائننا الحديدةُ في خواطرنا تُقام
كانت مدائننا الحديدة في الظلام
بمنازل الأموات ، أشبهَ . أو قرى
النمل – ... الحديدة في الظلام –

كانت مدائننا تنام
وفي الظلام
كنا نُحدّقُ في الفراغ ، ولا ننام
الا على أصوات عالمنا المقوضِ ، والعبيدْ
يتسكعون ، ومن جديد
يستقبلون — هناك — طاغيةً جديد
وخيولنا الخشبية العرجاء ، كنا في الجدارْ
بالفحم نرسمها ، ونرسم حولها حقلاً ودارْ
حقلاً ودار
ونُطارد القططَ الهزيلةَ في الأزقّة بالحجار
وإلى « الحبيبة » كان يدفعنا ، ويدفعنا الحنينُ
في بيتها نقضي أماسينا الطويلةَ حالمينْ
كنا نحدقِ نعالها الفضيّ ، نُصغي ساهمين
بعد المساء ، وبعد حين

وتثور أحقادُ السنين

فنعود ، نبحث في بقايا الذكريات عن الحياة

الأمس مات

الأمس مات

لم يبقَ حول « مدينة الأطفال » إلا ما نشاءْ

إلا السماء

جوفاء ، فارغة ، تحجّر في مآقيها الدخانْ

إلا بقايا السور والشحاذ يستجدي ، وأقدام الزمانْ

إلا العجائز في الدروب الموحشات

يسألن عنا الغاديات ، الرائحات

ولربما مرّتْ بهن ... بهن هذي الذكريات :

« السور » و « الشحاذ » و « الطفل الذي بالأمسِ ماتْ »

المماليك

على عالمٍ ، نصفُه ميتٌ
فتحت عيوني . وأطبقتُها

سماءٌ ملوثة بالدخـــان
يُلاحقني . عبثاً ، صوتُها

سأذهبُ . قطعانُهم في الطريقِ
بها عـــاد مستهزئاً موتُها

ذبائحُ ، ضائعةٌ ، لا تعي
إلى الله ألجأها قوتُها

فظلت وأهرامُها الشاحبات
يُؤبن – ما تركتْ – صمتُها

عويلٌ يلاحقني أينما
هبطتُ ، وظلّ ورائي يسيرْ

هنا كفرت بالسواقي الورود
وعاشت على ذكريات الغديرْ

هنا الليل ! أبناؤه أطفأوا
مصابيحنا في الهزيع الأخير

هنا رفعت للسماء العقيم
قرابينها . آلهات التمور

مماليكُ ، أعينُهم في الحضيض
محيرةٌ في انكســـارٍ تدور
أنا عائدٌ ! يا رفاقَ الطريق
إليكم ، قُبيلَ اختلاطِ الظلامْ
هي الأرض محرابُنا السرمدي
عليها ، سنبني صروحَ السلامْ
قُرانا على السفح لمّا تزَلْ
مروّعةً ، بانتظار الغمـــام
وأطفالُنا في مماشي الحقول
يَسوقون أغنامَهم للحِمام
وفي شرقنا قريةٌ ، لم تزل
يُباع بها الناس مثلَ السوام

الرحيل الأوّل

قالتْ : حديقتُنا ، أتبقى في الربيعِ بلا زهورْ ؟

قلت : اهدئي بعد الربيعْ

سأهيم وحدي في البحار النائياتْ

مغنى النساء الساحراتْ

والخمر والدم والدموع

ودليلُ مركبيَ الجَسورْ

عينان خضراوانِ . أنفاسُ الحياة
ليلاً تهبّ عليّ من حقلي البعيدْ
حيث الشموع المُطفآت
في مخدعي المهجور تنتظر اللهيبْ
وخيال أمي الراعش الباكي الكئيب
تومي إليّ بأن أعود
وإلى خطى ساعي البريد
تُصغي ، وتُصغي : « ليس في الدنيا جديد »
حتى الرسائلُ لا تُعيدْ ...
« صلّي لأجلي ، أنت يا أماهُ من وطني البعيدْ ؛ »
وتظل تلثمها كأن غلافها وجهي الكئيب
وحيث إخوتي الصغارْ

يتساءلون : « متى أعود ؟ »
والليل يمضي والنهارْ
وأنا ، أنا وحدي أجوبْ
عرضَ البحار مع الغروب
ودليل مركبيَ الطروبْ
عينان خضراوان . آلهةُ الربيعْ
من عالم الموتى تُطل عليّ ، من أفق الدموعْ
إن ضاع أمسي في انتظارك أيها النجمُ السعيدْ
فغداً على الأمواج ، ايماني يعود
بكَ أيها النجمُ السعيد

مَوعِدٌ مع الرَّبيع

— « لو لم تمتْ ! »

وحجبت عن عيني الجليدْ

وصرخت من أعماق يأسي : « لا أريدْ ! »

هي والسنونو والربيع ، غداً تعود

هي والوجود ، غداً تعودْ

وحجبت عن عيني الجليد ، ومن جديد

فوق الحقول ، تلألأ القمر النحيلْ
كذبابةٍ حمراء ، يجنح للأفول
وصرخت : « لا ... »
في وجه موتي : « لا أريد ! »
وبصقت : « لا ... »
في وجه موتي : « لا أريد ! »
الباب يُفتح ، والضياء يمسّ نفسي من جديدْ
وكأنما بيض تَكَسّرَ عن نسورْ
نفسي — التي كانوا أماتوها — تكسر عن نسورْ
طارت إلى أفق البكاءْ
« لو لم تمت ! »
وبصقت في وجه السماء

لا دمع في عيني ، وموتي ، والضياءْ
والباب يُفتح من جديد :
« رباهُ !... » والباب المُوارب في حياءْ
نفسي تَهز رتاجه المصدوء يخنقها البكاء
« رباهُ ! أحوج ما نكون
فقراءُ نحنُ اليكَ . أحوج ما نكون
رب المساكين . الحزانى ، الضائعين
فقراء نحن اليك . رب الضائعين ! »
والليل . والأنداء . والقمر النحيل
كذبابة حمراء . يجنح للأفول
وضحكت : « ماذا يشتهي الإنسانُ
إنْ ملَكَ الذي قد يشتهيهْ ؟ »

ماذا ؟ « سوى القمرِ »

— ... الذي قد يشتهيه ْ ؟ —

ماذا ؟ وفي نفسي الرغائب تستفيق

« لو لم تمت ! »

وشرعت أعدو في الطريقْ

عبد الحياة . أنا الرقيق

عبد الحياة يعود . يحمل من جديدْ

جذلانَ ، صخرته : إلى السفح البليد

وسخرت من نفسي : « تعود ؟

هي والربيع ، غداً تعود ! »

طيفُهَا

يا طيفها ! نوافذي أغلقت

وأطفئت أنوارهـــا بعدَها

مرّ ربيعان ، وعـــادا ولم

تحملْ إلى مقبرتي وردَها

من أين أقبلت ؟ وآبارنا

مسمومة . لا نلتقي عندها

قلوبنا الظمأى . وقد أجدبت

عادت إلى غربتها وحدهـــا

تطعم روح الليل أفلاذها الـ

ـعذراء ، إما جوعها هدّها

من أين أقبلت ؟ وأبوابنا

ألريح فيها نَفَثت حقدها

كان لنا فجر ، وكانت لنا

آلهة تمنحنـــا ودّهـــا

يا طالما غنيت في حبّها

وكنت — في حبي لها — عبدها

حتى إذا ما الأمس ولى ، مضى الـ

ساقي ، وخلّى في فمي قيدها

يا طيفها ! نوافذي أغلقت

وأطفئت أنوارهـــا بعدها

مرّ ربيعان . وعـــادا ولم

تحمل إلى مقبرتي وردهـــا

الافــاق

سكتت وأدركها الصباح ، وعاد للمقهى الحزينْ
كالسائل المحروم ، كالحلزونْ
ينتظر المساءْ
وغداً ستوصد بابها في وجهه ، ويعود للمقهى الحزين
ولا يعود
كالسائل المحروم ، ينتظر المساء
ولربما سيقول عنه الآخرون – ويهزأون

من سره المدفونْ ... —
: «أفاقٌ لئيمْ ! »
ويضحكون ويوصدون
أبوابهم في وجهه . ويعود للمقهى الحزين
كالبيذق المخذولْ
كالحلزون يحلم بالمراعي والحقولْ
بالشمس تجنح للأفول . وبالفيافي الموحشات . وبالرحيل
ونبيّ قريته . وصوت «العمدة» القاسي النحيلْ
وبالسنابل والربيعْ
ورضيع جارته الوديع
ويستفيقْ
على صدى مذياع مقهاهُ الحزينْ
يعلو ويعلو فوق صوت الآخرين :

« من آخر البستان بل من آخر الدنيا
أتينا ! » فوق صوت الآخرينْ
وفي الطريقْ ،
البرد والعربات والليل الطويلْ
ومنازل الموتى . وشحاذ هزيل
ونوافذ بيضٌ ، مُنوّرة وآلاف النجومْ
تخبو وطائرة تحوم
ويعود يحلم بالمراعي والحقول
كالبيذق المخذول ، كالحلزون
يحلم بالحقول
ويستفيق
على صدى مذياع مقهاهُ الحزينْ
يعلو ويعلو فوق صوت الآخرين ! :

« الفجر – رغم تمائم الموتى – قريبْ »
وفي الطريقْ
الليل والعربات والفجر القريبْ
ويعود يحلم بالفيـــافي والسماءْ
وبالمساء   وباللقاءْ
وبقهقهات الآخرينْ
والباب يوصد دونه والبرد والمقهى الحزين
وبالسعال تسحّه رئتاه والدم والظلالْ
وبالرجال الضائعينْ
يتشاجرون ويضحكون ويوصدون
أبوابهم في وجهه ، ويعود للمقهى الحزين
ولا يعودْ
كالسائل المحروم ، ينتظر المساءْ

الظلال الهائمة

ما زلت أسمعها تغني رغم آماد الزمانْ
فرحي المجنح والكآبة في غدير عيونها يتألقان
وهوايَ كان
طفلاً إلهياً على الأشواك يحبو في الهجير
صوب الغديرْ
حيث الحقول الشاحبات ، وحيث لا قدم تسير

أنا والهجيرْ

صوب الغديرْ

أترى الظلال الهائمات وراءه وَعَتِ الغناءْ ؟

فاسترسلت في شبه حلم . واستفاقت للمساءْ

تروي أحاديث الصبيّات اللواتي كُن يصطدن الرجال

بغنائهن وراء أسوار الليالْ

أم لا تزالْ

مثلي تسيرْ

هي والهجيرْ

لتموت في صمت الحقول بلا غديرْ

تمّت اللعبة

تمت اللعبة ، لا جدوى

وها نحن انتهينا !

لا تقولي ! « معكَ الحبّ »

متى كان ...! وأينا ؟

لا تقولي : « حظنا شاء » وداعاً ! فإلينا

ينظر « البيذق » في خوف و « صمتي » و « انتهينا »

دمية ألقى بها طفل ، بعيداً عن يدينا
قدر – كان وراء الغيب ، يلهو بانطلاقي
آه لو حطمت مصباح الهوى ، قبل احتراقي
وافترقنا ، قبل أن يخبو اللظى ، قبل العناقِ
ليت – لا كان التلاقي !
أي جدوى من حياتي ؟
والجماد البارد المغمور لم يحفل بذاتي
أي جدوى من حياتي ؟
و « انتهينا » دفنت أشلاءها في أغنياتي
وغداً يفتتح اللعبة عشاق – سوانا
فيرون البيذق الخائف – لا كان هوانا
عبثاً تبكين ، يا بلهاء ما ليس لدينا ...
تمت اللعبة ، لا جدوى
وها نحن انتهينا !

لا أقولها

في فمي — لا أقولها —
كلمـــات مجنحه

كلمـــا مرّ عـــابر
شيّعتـــه مُلَوّحَهْ

هاهنا ، هاهنا قفي !
لوداعي مُرنّحـــه

أنا للأرض عائـــد

من سمائي المطوّحهْ

في ضميري مذابـــح

أينَها منكِ مذبحـــه

كانت الأرض قبلنـــا

للعصـــافير مروحه

الأغـــاني طعامهـــا

والزهور المفتّحـــه

يا ضياعي أنا هنـــا

حجر ملّ مطرحه

كم تمنيت – يا أنا –

نبتت فيّ أجنحـــه

فتعــودين حـــرة

للمراعي مســـبحه

أنا ماضٍ وفي فمي

قولة منكِ مفرحه

سيقولون : عاشـــق

عبث الحبّ صوّحه

كانت الأرض قبلنا

للعصـــافيرِ مروحه

الأغـــاني طعامهـــا

والزهور المفتّحـــه

الحديقة المهجورة

التينة الحمقاء . والبيت القديمْ
ورفيف أجنحة الفراشْ
وزنابق سود عطاشْ
تذوي . وأسراب العصافير الجياعْ
ملوية الأعناق ، تحلم بالرحيلْ
والتينة الحمقاء ، نافرة العروقْ
كالمومس الشمطاء ، لم تُبقِ السنونْ
منها سوى قش وطينْ

وعلى زجاج نوافذ البيت القديمْ
وعلى السياج ، مخالب الموت الصموتْ
نثرت خيوط العنكبوتْ
وغناء حطاب ، أبحّ ، يفيض من قلب السكونْ :
« كوريقة صفراء ، يا ريح الشمالْ !
عبر البحيرات العميقة ، والبساتين احمليني ، والتلالْ
يا أنت يا ريح الشمالْ »
وتُردّد الأصداء : « يا ريح الشمالْ ! »
وعلى الحوائط في اكتئابْ
يتسلط اللّبلاب ، أشبه بالبثورْ
ويموء قطّ ، والعصافير الجياعْ
ملوية الأعناق ، تحلم بالرحيلْ
ومن الممرات الطويلة ، عطر امرأة يضوعْ
عطر يضوعْ

« عادت إذنْ ! » ويثور في شفتيه جوعْ
جوع إلى لهب الأعالي والفناءْ
ويموء قِطّ ، ليس من أحد هناك سوى المساءْ
ويفيض من قلب السكون ، غناء حطّاب ، أليم :
« من ألفِ ألفٍ والحياة ، عنانها بيد الرغيفْ
يا أنت ، يا هذا الرغيف ! لَكَمْ تخيفْ ! !
وتردد الأصداء : « يا هذا الرغيف ! لكم تخيف ! »
وروائح العشب الخبيث من السواقي المظلماتْ
تطفو على وجه الحديقة كالنبيذْ
وأرانب ، برية ، حمر العيون
تنسلّ من دغل كثيفْ
والتينة الحمقاء ، والبيت القديمْ
وزنابق سود عطاشْ
تذوي ، وأسراب العصافير الجياعْ
ملوية الأعناق . تحلم بالرّحيلْ

القنديل الأخضر

تحت جنح الليل ، والصمت ، وأعماقي الكئيبه
وعبير الأرض والليمون ، والماضي وحزني
لم يعد يوقظ أحلام الصبا المخذول فيّا
كان ضوء ، كان في قبر ، بعيداً ، كان عني
الفضاء القذر ، المظلم ، يستنزفه شيئاً فشيّا
غير أني ، كنت أقوى

كنت من نفسيَ أقوى

كنت أهوى

لو تلاقينا على ذاك الضياءِ

كفراشين ، على الأوراد غابا في عناق

واحترقنا ، أنا والماضي وعيناها

على ذاك الضياءِ

وعبير الأرض ، والليمون يخبو ، والسواقي

كفراشين على الاوراد ، والقرية تصحو من كراها

تغسل الساقية العذراء ، في الفجر رؤاها

والازاهير إلى النور تُصلّي ، والكلابُ

تنبح الاموات ، والليل المولي ، والهضابُ

وأنا أحلم في نافذتي ، والعطر يخبو

غير اني ، كنت من نفسي أقوى
كنت أهوى أن أراها
سوسن الحقل يغطي جسمها العاري – أراها
ووراء الحائط المنهار ، تستجدي العصافير غناها
كان ضوء ، كان في قبر ، بعيداً ، كان عني
الفضاء القذر ، المظلم ، يستنزفه شيئاً فشيّا

مَاوْ مَاوْ

الموت . والإنسان من أعماق فطرته . يُقدّم في سخاء

شاراته الأخوية . الإنسانُ في ليل الصراعْ

شاراته في ليل « كينيا » و « الملايو » و « القنال »

في ليل « كينيا » كالشعاعْ

في ظلمة الغابات والمستنقعاتْ

حيث الأفاعي والظلالْ

والشمس والصّبّار ، والأفق المخضب بالدماءْ
والكادحونْ
والموت والإنسان والمستنقعاتْ
في ليل « كينيا » والقرى والكادحونْ
ورفيقتي « ماري » تضمد رأس زنجي ، جريحْ
وصبيّة عمياء ، تحلب عنزة ، ومن السهوبْ
كانوا ، كأسراب السنونو ، كالمداخن ، يرحلون
أبداً ، كآلهة الأساطير القدامى ، يرحلونْ
ويدفعونْ
عرباتهم في الطين والمستنقعات
في ليل « افريقيا » الحزينْ
في ليل « افريقيا » وزنجي جريح

« ماري » تضمد رأسه والكادحونْ
الكادحون السود والغربان والمستنقعاتْ
ومزارع المطاط ، والبوليس يفتك بالمئات
ومنازل البيض ، البرابرة ، اللئامْ
تغفو ، كحيوان خرافي ، عجيبْ
والشيب والأطفال في عرباتهم يتدحرجونْ
أبداً ، كآلهة الأساطير القدامى ، كالظلالْ
في ليل « افريقيا » الحزين ، من السهوبْ
والنار تلتهم القرى ، وخناجر المتربصين
كالشهب تلمع في الظلامْ :
« أحراج – كينيا – يا ينابيع الضياءْ !
يا كوكباً في ليل قارتنا الحزين

يهدي الرفاق السود في أفق الصراعْ
أحراج – كينيا – يا زنابق ، يا حرابْ !
« العالم الحر ! » استفيقي يا حراب !
والهه – الدولار – يزحف في قرانا الخاويات »
وخناجر المتربصينْ
الكادحين السود ، تلمع في الظلامْ :
« مالان ! يا وغداً بقافلة الطغاهْ
إنا سنزرع بالحرابْ
غاباتنا العذراء ، يا وغداً بقافلة الطغاهْ »
ومن السهوبْ
« ماري » رفيقتنا تعود ، من السهوبْ
والموت والانسان يصنع فجره في ليل « افريقيا » الحزينْ

في المنفى

المسجد المهجور ، واللّيل الموشح بالنجومْ
تتثاءب الاشباح في ابعاده ، ويحوم بومْ
طلل وبومْ
ولهيب تنور ، تراقص في وجومْ
ــ ماذا ترومْ ؟
« مني ومن طللي سدومْ !

الشوكُ يُورقُ كالصنوبر والكرومْ
ان باركته ، يد رؤومْ »
— ماذا ترومْ ؟
نعشي ستحمله الرياح مع الغيومْ
عبر القفار ، مع الغيومْ
وأنا وأحلامي الكسيحة والنجومْ
الشوك والأموات والطّلل المصدع والنجومْ
نبكي ونضحك ثم يدركنا النهارْ
فنلوذ في ظل الجدارْ
عبثاً ، نحاول — أيها الموتى — الفرارْ
اليوم تتعب والدروب الموحشاتْ
على انتظارْ

نبقى هنا ؟ يا للدمارْ !
اليوم تنعب في احتقارْ
بالأمس كان لنا على القدر انتصارْ
كان انتصارْ
واليوم نخجل أن يرانا الليل في ظل الجدارْ
هذي القفار ، بلا قرارْ
الليل في أودائها الجرداء ، يفترش النهارْ
نبقى هنا ...؟ يا للدمارْ !
عبثاً ، نحاول — أيها الموتى — الفرارْ
من مخلب الوحش العنيدْ
من وحشة المنفى البعيدْ
الصخرة الصماء ، للوادي ، يدحرجها العبيدْ

« سيزيف » يُبعثُ من جديدٍ ، من جديدْ
في صورة المنفي الشريدْ
— ماذا تريدْ ؟
« القمح من طاحونة الأسياد يسرقه العبيدْ »
— ماذا تريدْ ؟
« الورد لا ينمو مع الدم والحديدْ »
طلل وبيدْ
تقضي ، بقيةَ عمرك المنكود فيها تستعيدْ
حلماً لماضٍ لن يعودْ !
حلم العهود الذابلات مع الورودْ
كانت حياتك من جليدْ
ولتبقَ — رغم أشعة الحب المذيبة — من جليدْ !
في وحشة المنفى البعيدْ
في وحشة المنفى البعيدْ

العائدون

وشحذت سكيني وسرت بركبهم
ومذابح التاريخ تملأ يقظتي

صوراً ، كأوراق الخريف على الثرى
الريح تنثرها ، كعيني ميّتِ

فهناك في الايوان قاتل ظله
يلهو الفناء بتاجه المتفتّتِ

وحجارة الايوان عابقـــة الشذا
من وردة تهب الخلود ، لوردةِ

وعيون « هولاكو » تجف بريقها
والقيد يكسره العبيـــد بصخرةِ

ومحطم الاغلال يهوي ساخراً
— عبر الزمان — على الجذوع ببلطةِ

والعائدون مع الربيع ، قلوبهم
للدفء تفتح بابهـــا في لهفةِ :

« أختاهُ ! عاد ، فضمّخي أثوابنا
بالطيب ، واحتفظي اليـــه بقبلتي

الباب موصود ، فقومي وافتحي
فالمقبض العاجيّ أوهن قبضتي

إني مِنَ الماضي أتيت فَمَن ْهنا
غيري وغير المنصتين لخطوتي ؟

نهر الحياة وكان آخر منظـــر
روحي له اضطربت ،وسرت ومديتي

وعيون « هولاكو » يجف بريقها
والقيد يكسره العبيد بصخرةِ

الحريم

« شفتاك جرح لا يزال دماً يسيلْ
على وسادتنا طوال الليل ، يا عصفورتي ، جرح يسيلْ
ويظل فارسها يغني تحت شرفتها : « طوال الليل ، آلاف الحريمْ
يُولدن ثم يمتن عند الفجر إلا أنتِ ، يا حلمي الجميلْ !
على وسادتنا ، طوال الليل ، يا حلمي الجميل ! »

وعمائم خضر . وصيادو الذبابْ
يخمسون « قصيدة عصماء !! » في ذمّ الزمانْ
وقبور موتاهم وحانات المدينة . والقبابْ
وسحائب الافيون والشرق القديمْ
ما زال يلعب بالحصى والرمل . ما زال التنابلة العبيدْ
يستنزفون دم المساكين . الحزانى . الكادحينْ
على وسائدَ من عبيرْ
ويزاولون تجارة القول المزيف . والرقيق
ما زال « هولاكو » و « هارون الرشيدْ »
ولم يزل « فقراء مكةَ » في الطريقْ ...
وقوافل التجار والفرسان والدم والحريمْ
يُولدن ثم يمتن عند الفجر في أحضان « هارون الرشيد »

ويعود فارسها يغني : « لم تعودي ، شهرزادْ !
ـ زاد المعادْ ـ
جسداً بأسواق المدينة في المزادْ
جسداً يُباعْ
يا أنتِ ، يا عصفورتي ، يا شهرزاد ! »
ومنابع البترول والكهان والشرق القديمْ
ومحطّم الأغلال يبصق في الظلام على القبورْ :
« ما زال أعداء الحياة يزاولونْ
تجارة التمول المزيف ، والرقيقْ
ما زال « هولاكو » و « هارون الرشيدْ »
ولم يزل « أهرام خوفو » ساخراتْ
من الحزانى ، الكادحينْ

وعلى هشيم صخورها ، لمّا تزل حمراءَ
آثار السياطْ
وأدمع البؤساء ، والمستضعفينْ
ولم يزل في السفح ، صيادو الذبابْ
وثورة الجيل الجديد على القديمْ
ويعود فارسها يغني ،تحت شرفتها : « حياتي ،شهرزادْ !
كحياة باقي الناس كانت ، كالفقاعة في الهواءْ
حتّى حملت معي السلاحْ
سلاح ثورتنا على الشرق القديمْ
وهدمت أسوار الحريمْ »

مذكرات رجل مجهول

٨ نيسان

أنا عامل ، أدعى « سعيدْ »
من الجنوبْ
أبوايَ ماتا في طريقهما إلى قبر الحسينْ
وكان عمري آنذاكْ
سنتين – ما أقسى الحياةَ
وأبشع الليل الطويلْ

والموت في الريف العراقي الحزينْ
وكان جدي لا يزالْ
كالكوكب الخاوي ، على قيد الحياه

13 مايس

أعرفت معنى أن تكونْ ؟
متسولاً ، عريان ، في أرجاء عالمنا الكبيرْ !
وذقت طعم اليتم مثلي والضياعْ ؟
أعرفت معنى أن تكونْ ؟
لصاً تطارده الظلالْ
والخوف عبر مقابر الريف الحزين !

١٦ حزيران

انّي لأخجل أن أعري ، هكذا بؤسي ، أمامَ الآخرينْ
وأن أرى متسولاً ، عريان ، في أرجاء عالمنا الكبيرْ
وأن أمرغ ذكرياتي في التّراب
فنحن ، يا مولايَ ، قومٌ طيبونْ
بسطاء ، يمنعنا الحياء من الوقوفْ
أبداً على أبواب قصرك جائعينْ

١٣ تموز

ومات جدي ، كالغراب ، مع الخريفْ
كالجرذ ، كالصرصور ، مات مع الخريفْ

فدفنته في ظل نخلتنا وباركت الحياه
فنحن ، يا مولايَ ، نحن الكادحينْ
ننسى ، كما ننسى ، بأنك دودة في حقل عالمنا الكبيرْ

١٥ آب

وهجرت قريتنا ، وأمي الأرض تحلم بالربيعْ
ومدافع الحرب الأخيرة ، لم تزل تعوي ، هناكْ
ككلاب صيدك لم تزل مولايَ تعوي في الصقيعْ
وكان عمري آنذاكْ
عشرين عامْ
ومدافع الحرب الأخيرة لم تزل .. عشرين عامْ
مولايَ ...! تعوي في الصقيعْ

٢٩ ايلول

ما زلت خادمك المطيعْ
لكنه علم الكتابْ
وما يُثير برأس أمثالي من الهَوَس الغريبْ
ويقظة العملاق في جسدي الكئيبْ
وشعوريَ الطاغي ، بأني في يديكَ ذبابة تَدْمى ،
وانك عنكبوتْ
وعصرنا الذهبيّ ، عصر الكادحينْ
عصر المصانع والحقولْ
ما زال يُغريني ، بقتلك أيها القرد الخليعْ

٣٠ تشرين الأول

مولايَ ! أمثالي من البسطاء لا يتمردونْ
لأنهم لا يعلمونْ
بأن أمثالي لهم حق الحياه
وحق تقرير المصيرْ
وان في أطراف كوكبنا الحزينْ
تسيل أنهار الدماءْ
من أجل إنسان الغد الآتي السعيدْ
من أجلنا ، مولايَ ، انهار
تسيل في أطراف كوكبنا الحزينْ

١٩ تشرين الثاني

الليل في بغداد ، والدم والظلالْ
أبداً تطاردني كأني لا أزالْ
ظمآن عبر مقابر الريف البعيدْ
وكأن إنسان الغد الآتي السعيدْ
إنسان عالمنا الجديدْ
مولايَ ! يُولد في المصانع والحقولْ

الفهرس

١٥١٢٥

